

جذور وأصول الفكر الإيقاعي الحيوي (1)

مقتطفات: من كتاب "رباعيات ..و.. رباعيات"

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD030617.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/06/03

السنة العاشرة - العدد: 3563



مقدمة:

حين استأذنت منكم أن أعطى المزيد من الوقت لإخراج أعمالى للنشر فى صورتها الورقية لم أكن أحسب أنها بهذا الحجم، ولا أنها بهذه القيمة، وقد بدأت بكتاب "عندما يتعري الإنسان" وتم بحمد الله إصداره ورقيا واستلمت نسخه أمس، وحين فوجئت بما كتبته فيه منذ نصف قرن، وعلاقته بما أنا فيه الآن خاصة بالنسبة للفكر الطبى النفسى الإيقاعى الحيوى التطورى، رحبت اقتطف منه ما أسميته "إرهاصات" هذا الفكر، لأبين كيف أنه قديم قدم محاولتى التعرف على ناسى، ومهنتى، وثقافتنا الخاصة، وطريقى إليه، وقد استقبل الأصدقاء القلائل هذه المقتطفات المحدودة بترحاب معقول، مثلما كان هذا العمل الباكر قد لقي نفس القبول منذ صدوره، فهذه هى الطبعة الرابعة. أتاحت لى هذه الفرصة أن أخفف من غلوائى وأنا أعتبر هذا العمل عملا متواضعا مليئا بالمباشرة، والمثالية، وأحيانا الخطابية، فقد وجدت فيه فعلا إرهاصات واضحة لما وصلتُ إليه الآن تحت مسمى هذا الطبى النفسى الإيقاعى الحيوى التطورى، واستغرق نشر تلك المقتطفات الأسابيع الثلاث الماضية، وحلت محل الاستمرار لإكمال أطروحة "الفصام" (مغارة الضياع ووعود الإبداع)، ثم إنى حين هممت أن اقتطف منه للأسبوع الرابع، وجدتنى أكرر نفس "التيمة أو "النص المعاد": السكرىبت "script: نجاح => اغتراب => صدمة => إفاقة => مراجعة => ألم (معاناة/إعاقة/مرض => (استشارة => كسر لليأس => أمل => تلويح بإفاقة" (ثم من جديد: نجاح => اغتراب الخ الخ).

فقلت هذا يكفى، وتوقفت.

ثم إنى وجدتنى وفيت بوعدى لى نفسى (ولكم) وأجهزتُ كتابين آخرين دخلا أمس المطبوعة فعلا، وهما كتاب "تداعيات يحيى الرخاوي"، وكتاب "رباعيات ورباعيات"، الأول به جرعة ليست قليلة من الخبرة الذاتية فى محاولة الكشف عن بعض طبيعة العملية الإبداعية كما عايشتها وأعايشها، والثانى كتاب نقد مقارن لرباعيات صلاح جاهين، مع رباعيات عمر الخيام، ورباعيات نجيب سرور، وتؤكد لى أثناء المراجعة للطبع أن هذا مستوى آخر من أعمالى يمكن أن أقدم من خلاله بعض ما يتعلق بنفس الفكر: الطب النفسى الإيقاعى الحيوى، وتأكدت من حقى فى التحفظ على أن يمثل كتابى الأسبق "عندما يتعري الإنسان" فكرى الحالى، وقد وجدت فى الكتاب الثانى (رباعيات ورباعيات) ما يؤكد الطبيعة الإيقاعى الحيوية التى هى محور هذ الفكر من مصدر اعتبره من أهم مصادر معرفتى بالنفس البشرية، وهو الإبداع والنقد الأدبى عامة، وما يسمح به من استلهم، كما وجدت بالكتاب الأول كشفا ذاتيا عن عمق تداعيات عمليات الإبداع بشكل أو بآخر.

وبعد

بعد هذه المقدمة التى طالبت ربما أكثر مما ينبغى أستأذنكم أن أوصل تخصيص أكثر وقتى لإنجاز ما وعدت به بالنسبة لأعمالى فيما يتعلق بالنشر الورقى، وهذا يتطلب أن نكتفى فى النشرات اليومية بالاقطفات من أعمال سابقة متعلقة، مع إضافات محدودة إذا لزم الأمر، أما بالنسبة لكتاب "عندما

حين فوجئت بما كتبته فيه منذ نصف قرن، وعلاقته بما أنا فيه الآن خاصة بالنسبة للفكر الطبى النفسى الإيقاعى الحيوى التطورى، رحبت اقتطف منه ما أسميته "إرهاصات" هذا الفكر، لأبين كيف أنه قديم قدم محاولتى التعرف على ناسى، ومهنتى، وثقافتنا الخاصة، وطريقى إليه

وجدت فيه فعلا إرهاصات واضحة لما وصلتُ إليه الآن تحت مسمى هذا الطبى النفسى الإيقاعى الحيوى التطورى

أجهزتُ كتابين آخرين دخلا أمس المطبوعة فعلا، وهما كتاب "تداعيات يحيى الرخاوي"، وكتاب "رباعيات ورباعيات

هذا مستوى آخر من أعمالى يمكن أن أقدم من خلاله بعض ما يتعلق بنفس الفكر: الطب النفسى الإيقاعى الحيوى

تأكدت من حقى فى التحفظ على أن يمثل كتابى الأسبق "عندما يتعري الإنسان" فكرى الحالى

يتعري الإنسان“ فيكفي ما ظهر منه حتى لا نتمادى في الإعادة، ولننتقل أولاً بأول إلى مصدر آخر يمثل أيضاً الجذور والأصول ولتكن البداية من كتاب ”رباعيات ورباعيات“، فبالرغم من أنه نقد أدبي صرف، إلا أنني أمل أن يكون في تقديمه وعرض مقتطفات منه ما يحقق ولو بعض ما يلي:

1-التأكيد على المبدأ الذي ابتدئته في النقد الأدبي باسم”التفسير الأدبي للنفس“

2-إظهار ضرورة النهل من كل مصادر المعرفة للتعرف على النفس البشرية، ومن ثمَّ إمكان توجيهها إلى ما خُلِقَتْ به، أو إرجاعها إلى ما خُلِقَتْ له، إن كانت قد تورطت أو انحرفت عن ذلك.

3-عينة من منهج آخر، غير المنهج السلطوي السائد، العلم المؤسسي، للتعرف على الظاهرة البشرية

4-ضرورة احترامنا أنه لا سبيل للإبداع أو الإضافة التي هي من حقنا إسهاما في العطاء المعرفي والدفع الحضاري إلا إذا عدنا للتعرف من جديد على هذه الثروة الكامنة والظاهرة في لغاتنا: الفصحى والعامية على حد سواء.

5-إمكان استلهام الإبداع الأدبي على مستوى أشمل لتوسيع وعي الممارس للعلاج خاصة: حتى يقوم بمهمته من خلال تنشيط الوعي البيئشخصي والوعي الجمعي، دعما وإبداعا ومشاركة، إلى الوعي الأكثر اتساعا وامتدادا وهذا هو جوهر العلاج كما تعلمون وكما سيأتى.

وبعد/أخرى:

دعتنى هذه الوقفة أن أعود لمحاولة تحديد مصادري التي أوصلتني إلى هذا الفكر، فعجزت عن الإلمام بها طبعا، ثم فضلت أن أثبت ما خطر لى كرووس مواضيع لست ملزما أن أعرج إلى تفصيلها حالا، وإليكم بعض تلك المصادر:

أولا: أننى أعيش في طبيعة دورية (إيقاعية): الليل والنهار، والشروق والغروب، والهلال والقمر، والفصول الأربعة) طول الوقت.

ثانيا: أننى ”أنام“ و”أصحو“ و”أحلم“، و”لا أحلم“، (دون أن أضطر إلى تشوية ذلك بأن أحكى ما يصلنى من أحلامى أو أن أفسرها.)

ثالثا: أننى أصلى (وأصوم) مواكبا لدورات الشمس والقمر توجَّها لخالقهما، وخالقى.

رابعا: أننى فلاح نشأتُ أعرف وأوأكب مواسم الزرع والحصاد ودورات ترعة المياه المرتبطة بشكل مباشر وغير مباشر بدورات فيضان النيل العظيم، ويبدو أن كل ذلك ما زال بداخلى.

خامسا: أن مرضاى الأهم (وكلهم لهم نفس الأهمية) يمرضون فى دورات، اللهم إلا إذا تأخرت بهم الحال وتكلَّسوا، أو إذا غطسوا فاحتما بعباءة ما يسمى مؤخرا ”قرط العادية“ أو أى اضطراب نمطى آخر للشخصية.

سادسا: أننى قد رصدت دوراتى الشخصية، وإن كان ذلك عادة بأثر رجعى، وفى مجال الإبداع خاصة دون أن تحدد بي والحمد لله، لكننى أعتقد أننى احتويتها وأحتويتها، وأنها كانت وما زالت وراء تدفق إنتاجى كما تجلى فى كتابى الثانى الذى دخل المطبعة أمس أيضا ”تداعيات يحيى الرخاوى“ كما ذكرت حالا.

سابعا: أننى بقدر ما أستطيع: أنتمى إلى ما هو ”هنا والآن“، وخاصة فى العلاج الجمعى فأنا أعيش هذا الذى هو ”هنا والآن“ بشكل يربط البداية بالمصير، من أول نبض التطور إليه معظم الوقت، بأقل قدر من الاغتراب عن اللحظة الراهنة.

وجدته فى الكتاب الثانى (رباعيات ورباعيات) ما يؤكد الطبيعة الإيقاعية التى هى محور هذا الفكر من مصدر أعتبره من أهم مصادر معرفتى بالنفس البشرية، وهو الإبداع والنقد الأدبي عامة، وما يسمع به من استلهام

التأكيد على المبدأ الذى ابتدئته فى النقد الأدبي باسم”التفسير الأدبي للنفس“

إظهار ضرورة النهل من كل مصادر المعرفة للتعرف على النفس البشرية، ومن ثمَّ إمكان توجيهها إلى ما خُلِقَتْ به، أو إرجاعها إلى ما خُلِقَتْ له، إن كانت قد تورطت أو انحرفت عن ذلك

لا سبيل للإبداع أو الإضافة التى هى من حقنا إسهاما فى العطاء المعرفى والدفع الحضارى إلا إذا عدنا للتعرف من جديد على هذه الثروة الكامنة والظاهرة فى لغاتنا: الفصحى والعامية على حد سواء.

استلهام الإبداع الأدبي على مستوى أشمل لتوسيع وعي الممارس للعلاج خاصة: حتى يقوم بمهمته من خلال تنشيط الوعي البيئشخصي والوعي الجمعى، دعما وإبداعا ومشاركة، إلى الوعي الأكثر اتساعا وامتدادا

أننى أعيش فى طبيعة دورية

(إيقاع حيوية: الليل والنهار، والشروق والغروب، والملا والقم، والفصول الأربعة) طول الوقت

أننى أصلى (وأصوم) مواجها لدورات الشمس والقمر توأمًا لخالقهما، وخالقي

أن مرضاي الأهم (وكلهم لهم نفس الأهمية) يمرضون في دورات، اللهم إلا إذا تأخرت بهم الحال وتكسوا، أو إذا خطسوا فاحتما بعاءة ما يسمى مؤخرًا "فرط العادية" أو أي اضطراب نمطي آخر للشخصية

أننى بقدر ما أستطيع: أنتمى إلى ما هو "هنا والآن"، وخاصة في العلاج الجمعى فأنا أعمى هذا الذى هو "هنا والآن" بشكل يربط البداية بالمصير، من أول نبض التطور إليه معظم الوقت، بأقل قدر من الاختراب عن اللحظة الراهنة

نجحت أن أواكب مستويات المخ البشرى في مهنتى علاجا وتدرىسا وتعرفت على ما أمكننى منها وذلك من منطلق ما يسمى النيوروبيولوجى، متجاوزا ما يسمى التحليل النفسى وكذلك التنظير السلوكى

توقفت طويلا مترددا أن أبين أهم هذه المصادر، وهو ما كان ينبغى أن يتصدر القائمة، خشية أن يفهم معنى أننى أقدم نوعا - من "التفسير العلمى للقرآن

ثامنا: أننى لا أفلت أيا مما يقع لى، مما يصلنى أو أصل إليه، فيما يتعلق بالتطور وآلياته ومراحله ودوراته وبرامجه - بفضل الله -، وغيره مما يوازيه أو يؤكده فيضيف أو يعدل كل ما سبق أو لا بأول. **تاسعا:** أننى نجحت أن أواكب مستويات المخ البشرى في مهنتى علاجا وتدرىسا وتعرفت على ما أمكننى منها وذلك من منطلق ما يسمى النيوروبيولوجى، متجاوزا ما يسمى التحليل النفسى وكذلك التنظير السلوكى، دون إلغاء أى، إلى أن اطمأننت إلى ما واصلنى عن المخ البشرى من قدرته على إعادة بناء نفسه طول الوقت، بانتظام إيقاعى رائع

عاشرا: أننى أمعنت، وأمعن النظر فيما وفيمن حولى، بدءا بسباحة عصافير الصباح قبيل الشروق فى دوائر ورحلات بقائية رائعة مجهولة البداية والنهاية، إلى دورات نشاط ومزاج كل من حولى وخاصة من عائلتى وتاريخها.

وأساسا (وأخيرا، يعنى: أولاً)

توقفت طويلا مترددا أن أبين أهم هذه المصادر، وهو ما كان ينبغى أن يتصدر القائمة، خشية أن يفهم عنى أننى أقدم نوعا - من "التفسير العلمى للقرآن"، وقد كررت مرارا أننى ضد ذلك جملة وتفصيلا، فعلاقتى بكتابى الكريم هذا أكبر واقدم من أن تنزل به إلى هذا المستوى، مهما برق واستعلى ما يسمى العلم الحديث، فوصلنى الحق الذى لا يحتاج دليلا من غيره (كما علمنا مولانا النفرى)، وقد سبق أن صرحت أو ألمحت، كيف يصلنى هذا الكتاب الكريم "وعيا خالصا"، أكبر من الشرح والمعاجم والتفسير، ولهذا حرصت - ما أمكن ذلك - أن أتجنب حتى الاستشهاد المباشر ببعض آياته المضيق، خوفا من الاختزال وسوء التلقى، مع أن الاستشهاد ليس تفسيرا، بل هو استلهم بحرك طبقات مقابلة من الوعى: على طريق الكدح بعيدا عن وصاية المعاجم، وعن فوقية سلطة مؤسسية تسمى نفسها العلم.

ومع كل هذه المحاذير، فقد وجدت أنه لا يجوز أن أتجنب التصريح عن فضل ودور هذا المصدر الأول والأهم،

وأكتفى الآن - حذرا - أن أوصى القارئ - كل قارئ وليس بالضرورة من دينى - أن يتلو بهدوء وبصوت عال قوله تعالى:

... "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"
وأيضا:

"يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ"
شكرا وله الحمد

أما سائر الآيات التى فضلت ألا أثبتها فسوف أكتفى بالإشارة إلى سورها وأرقامها لمن شاء أن يرجع إليها، أو قد أنشرها فيما بعد إذا طُلبت منى وكان ذلك ممكنا ومفيدا برغم كل المحاذير السابقة.

(آية 5 سورة الفرقان)، (آية 42 سورة الاحزاب)، (آية 9 سورة الفتح)، (آية 25 سورة الإنسان)، (آية 205 سورة الأعراف)، (آية 15 سورة الرعد)، (آية 36 سورة النور)، (آية 11 سورة مريم)، (آية 62 سورة مريم)، (آية 41 سورة آل عمران)، (آية 55 سورة غافر)، (آية 96 سورة الأنعام)، (آية 54 سورة الأعراف)، (آية 2 الرعد)، (آية 12 سورة النحل)، (آية 17 سورة الكهف)، (آية 130 سورة طه)، (آية 33 سورة الأنبياء)، (آية 45 سورة الفرقان)، (آية 29 سورة لقمان)، (آية 13 سورة فاطر)، (آية 38 سورة يس)، (آية 40 سورة يس)، (آية 5 سورة الزمر)، (آية 39 سورة ق)، (آية 5 سورة الرحمن)، (آية 9 سورة القيامة)، (آية 1 سورة التكويد)، (آية 1 سورة التكويد)، (آية 1 ، 2 ، 3 سورة الشمس)، (آية 29 سورة النازعات)، (آية 46 سورة النازعات)، (آية

18 (الروم)، (آية 39 سورة يس)، (آية 9 سورة القيامة)، (آية 18 سورة الانشقاق)، (آية 27 سورة آل عمران)، (آية 12 سورة الأبرار)، (آية 61 سورة الحج)، (آية 80 سورة المؤمنون)، (آية 44 سورة النور)، (آية 62 سورة الفرقان)، (آية 86 سورة النمل)، (آية 71 سورة القصص)، (آية 33 سورة سبأ) (آية 37 سورة يس)، (آية 138 سورة الصافات)، (آية 61 سورة غافر)، (آية 5 سورة الجاثية)، (آية 20 سورة المزمل)، (آية 33 سورة المدثر)، (آية 26 سورة الإنسان)، (آية 10 سورة النبأ)، (آية 4 سورة الفجر)، (آية 4 سورة الشمس)، (آية 1 سورة الليل)، (آية 2 سورة الضحى)، (آية 8 سورة المرسلات)، (آية 2 سورة التكويد)، (آية 190 سورة آل عمران)، (آية 60 سورة الأنعام)، (آية 6 سورة يونس)، (آية 67 سورة يونس)، (آية 114 سورة هود)، (آية 47 سورة الفرقان) (آية 73 سورة القصص)، (آية 23 سورة الروم)، (آية 13 سورة فاطر)، (آية 10، 11 سورة النبأ).
وكل عام وأنتم والناس بخير، مهما كان ويكون.

وبعد

ثم نعود غدا إلى ما وعدنا، وهو:

مقتطفات من كتاب "رباعيات .. رباعيات"، وقد كتب من عدة عقود أيضا، وذلك كعينة من النقد الأدبي، الداعم لفكر الإيقاعحيوى وهو بعض ما ألهمنى ما وصلت إليه

خربت مرارا أننى ضد ذلك
جملة وتفصيلا، فعلقته بكتابتى
الكريم هذا أكبر وأقدس
من أن تنزل به إلى هذا
المستوى، مهما برق واستعلى
ما يسمى العلم الحديث

يطنى هذا الكتاب الكريم
"وَحَيْثُ خَالِطًا"، أكبر من
الشرح والمعاجم والتفسير،
ولهذا حرصت - ما أمكن
ذلك - أن أتجنب حتى
الاستشهاد المباشر ببعض
آياته المضيئة، خوفا من
الاختزال وسوء التلقى

*** **

مؤسسة علم النفس العربى

Arab Foundation Of Psychological Sciences

<http://arabpsynet.com/>

<http://www.arabpsyfound.com/>

اصدارات مكتبتي

السلسلة المكتبية "نفساننى"

"الكتاب العربى لعلوم وطب النفس"

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية "وفى أنفسى"

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBFiAnfosikom.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=17&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية "الراسىون"

اصدار لجنة الترشح النفسى العربى

<http://www.arabpsynet.com/TourathPsy/index.TourathPsy.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=18&controller=category&id_lang=3

*** **

سلسلة "الكتاب الابيض" للعلوم النفسى العربى

www.arabpsynet.com/WhiteBooks/eWBIndex.htm

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=32&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية "الإنسان والتطور"

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=20&controller=category&id_lang=3